العنف لدى الطفل و علاقته بمشكلات التنشئة الأسرية

أ.د. مصطفى عوفي،أ. حديدان وفاء
جامعة باتنة1- الجزائر

الملخص:

إن عملية التنشئة الاجتماعية من أهم العمليات تأثيراً على الأبناء فى مختلف مراحلهم العمرية، لما لها من دور أساسي في تشكيل شخصياتهم وتكاملها، وهي تعد إحدى عمليات التعلم التي عن طريقها يكتسب الأبناء العادات والتقاليد والاتجاهات والقيم السائدة فى بيئتهم الاجتماعية التى يعيشون فيها، وعملية التنشئة الاجتماعية تتم من خلال وسائط متعددة، وتعد الأسرة أهم هذه الوسائط، فالأبناء يتلقون عنها مختلف المهارات والمعارف الأولية كما أنها تعد بمثابة الرقيب على وسائط التنشئة الاخرى، ويبرز دورها- الأسرة -فى توجيه وإرشاد الأبناء من خلال عدة أساليب تتبعها فى تنشئة الأبناء، وهذه الأساليب قد تكون سويه أو غير ذلك وكلا منهما ينعكس على شخصية الأبناء وسلوكهم سواء بالإيجاب أو السلب. فان أخفقت الأسرة في تأدية دورها فان بعض الظواهر السلبية كالعنف تظهر في الأفق و العنف عند الأطفال من أهم المظاهر التي أصبحت تميز مجتمعنا و تؤثر عليه فطفل اليوم هو رجل الغد و متى استقام أفراد المجتمع استقام .

Abstract:

The socialization process of social of the most important processes impact on the children in different age their journeys, because of its key role in the formation of their personalities and their integration, which is one of learning processes through which acquires children customs and traditions, attitudes and values prevailing in the social environment in which they live, and the process of social Altencth done through multi-media, and is the family the most important media, Valobina receive them different skills and initial knowledge as it serves as a sergeant on the other modes of socialization, and highlights Dorha- family - in guiding children through a number of methods followed in arise Of children, and these methods may be SEWEN or otherwise, and both of them reflected on the personality of their children and their behavior, whether positively or negatively.

The family has failed to play its role, some negative phenomena such as violence appear on the horizon and violence in children is one of the most important manifestations that have become a distinguishing feature of our society and affect it. Today's child is the man of tomorrow and when the members of the community are upright.Haut du formulaire

مقدمة:

إن التنشئة الاجتماعية هي عملية تستهدف إضفاء الطابع الإنساني على شخصية الفرد؛ فهي عملية تعلم وتعليم وتربية؛ تقوم على الاتصال والتفاعل الاجتماعي؛ وتهدف إلى اكتساب الفرد (طفلا، فمراهقا، فراشدا، فشيخا) سلوكا ومعايير واتجاهات مناسبة لأدوار اجتماعية معينة، تمكنه من مسايرة جماعته، والتوافق الاجتماعي معها، وتكسبه الطابع الاجتماعي، وتيسر له الاندماج في الحياة

الاجتماعية، وهي عملية من المفترض أن تساهم في بلورتها مجموعة من القنوات؛ سواء تلك التي يجد الطفل نفسه بداخلها تلقائيا كالأسرة والمدرسة..؛ أو تلك التي تتاح له فيها إمكانية الاختيار؛ كما هو الشأن بالنسبة لجماعة الرفاق. لكن تبقى الأسرة أهم هذه القنوات لما لها من تاثير كبير في تشكيل شخصية الطفل و بلورتها و صقلها .و من هذا المنطلق نطرح الإشكالية التالية:

كيف تساهم التنشئة الأسرية غير السوية في ظهور العنف لدى الطفل؟

ويذهب التحليل في خطوط عريضة تحت التساؤلات التالية:

- هل الوضع الاقتصادي للأسرة له علاقة بظهور العنف لدى الطفل؟
- هل للوضع السوسيو ثقافي للأسرة دور في ظهور العنف لدى الطفل؟

1_ تحديد المفاهيم:

1_1_ الأسرة :

تمثل الأسرة أهم المؤسسات الاجتماعية بل اللبنة الأولي الاجتماعية في حياة البشر، الأمر الذي يجعل الأسرة في المصاف الأولي لتربية وبناء الأجيال التي تسهم في نماء أوطانهم لذلك نحتاج لتحديد مفهوم الأسرة تحديدا دقيقا والأسرة الحديثة بشكل خاص، ليس هناك تعريفا شاملا و كاملا للأسرة ، إذا كانت الأسرة تختلف من مجتمع لآخر ، بل في المجتمع الواحد ، إلا أنه يمكن القول أن:" الأسرة هي نظام اجتماعي أساسي له أهمية جوهرية في بناء المجتمع ، يؤدي وظائف ضرورية، و حيوية للمجتمعات الإنسانية ، فالأسرة بكل أبعادوظائفها تسعى إلى بناء فرد."

1- 2 التنشئة الاجتماعية:

يعتبر موضوع التنشئة الاجتماعية من المواضيع الهامة التي تناولها الباحثون في مجال علم النفس وعلم لاجتماع سواء من ناحية المضامين أو الأساليب، نظراً لأهمية هذا الموضوع في إعداد الأجيال القادمة التي ستحافظ على استمرارية وجود المجتمع مادياً ومعنوياً .

وعرفها كلود دبار: " التنشئة الاجتماعية سيرورة متقطعة غير مستمرة، من البناء الاجتماعي للسلوكات الاجتماعية" .**1**

و يعرفها فؤاد البهي السيد: " بانها من اهم الوسائل التي يحافظ بها المجتمع على خصائصه، و على استمرار هذه الخصائص عبر الاجيال " .**2**

كما عرفها بارسونز بانها: " عبارة عن عملية تعليم تعتمد على التلقين و المحاكاة و التوحد مع الأنماط العقلية و العاطفية و الأخلاق عند الطفل و الراشد، و هي عملية تهدف لإدماج عناصر الثقافة في نسق الشخصية، و هي عملية مستمرة لا نهاية لها ". **3**

أما التعريف الإجرائي:

التنشئة الاجتماعية ":عملية تحويل الفرد من كائن عضوي بيولوجي إلى فرد اجتماعي عن طريق الـ تفاعل الاجتماعي ليكتسب بذلك سلوك و معايير و قيم و اتجاهات تدخل في بناء شخصيته لتسهل له الا ندماج في الحياة الاجتماعية."

و هي بهذا عملية مستمرة تبدأ بالطفولة فالمراهقة فالرشد لتنتهي بالشيخوخة، و تشمل كافة الأساليب التنشيئية التي تلعب دورا مهما في بناء شخصية الفرد أو اختلالها من جميع جوانبها النفسية و الاجتماعية.

1ـ3 ـ العنف:

يعد السلوك العدواني أو العنف من أهم الأنماط السلوكية التي لازمت الإنسان خلال مختلف مراحل نموه ، وخلال مسيرة تاريخ تطوره عبر الزمن، وهو من أولى مظاهر السلوك التي عرفتها المجتمعات البشرية عبر العصور القديمة والحديثة. والاهتمام والالتفات إلى ظاهرة العنف كان نتيجة تطور وعي عام في مطلع القرن العشرين بما يتعلق بالطفولة، خاصةً بعدما تطورت نظريات علم النفس المختلفة التي أخذت تفسر لنا سلوكيات الإنسان على ضوء مرحلة الطفولة المبكرة وأهميتها بتكوين ذات الفرد وتأثيرها على حياته فيما بعد، وضرورة توفير الأجواء الحياتية المناسبة لينمو الأطفال نمواً جسدياً ونفسياً سليماً ومتكاملاً.

يقول لالاند :" فعل أو كلمة عنيفة « فهو عموما » كل تصرف يؤدي إلى إلحاق الأذى بالآخرين . قد يكون الأذى جسميا أو نفسيا فالسخرية و الاستهزاء من الفرد و فرض الآراء بالقوة و إسماع الكلمات البذيئة جميعها أشكال مختلفة لنفس الظاهرة "**4**

وقال الزهراني بأنه :"السلوك الذي يقصد به إيذاء الآخرين بدنيا أو ماديا" **5**

وعرفة إجلال حلمي :"بأنه ممارسة القوة البدنية لإنزال الأذى بالأشخاص و الممتلكات، كما انه الفعل الذي يحدث ضررا جسيما او التدخل في الحرية الشخصية"**6**.

ويعرفه دينيستين:" أنه استخدام وسائل القوة والقهر أو التهديد باستخدامها لإلحاق الأذى والضرر بالأشخاص والممتلكات وذلك من أجل تحقيق أهداف غير قانونية أو مرفوضة اجتماعيا "**7**.

و عليه العنف هو كل تصرف يؤدي إلى إلحاق الأذى بالآخرين، قد يكون الأذى جسمياً أو نفسياً .فالسخرية والاستهزاء من الفرد وفرض الآراء بالقوة وإسماع الكلمات البذيئة جميعها أشكال مختلفة لنفس الظاهرة.

1 ـ 4_ الطفل

يعرف الطفل وفقا للمادة الأولى من مشروع اتفاقية الأمم المتحدة على انه:" كل إنسان لم يتجاوز الثامنة عشرة ما لم يبلغ سن الرشد" **8**.

و الطفل في هذه المرحلة لا يتحمل مسؤوليات الحياة معتمدا على الابوين و ذي القربى في إشباع حاجاته العضوية و على المدرسة في الرعاية للحياة و تمتد زمنيا من الميلاد و حتى قرب نهاية العقد الثاني من العمر و هي المرحلة الأولى لتكوين و نمو الشخصية و هي مرحلة الضبط و السيطرة و التوجيه التربوي.

2 ـ وظائف الأسرة

تعتبر الأسرة مركز المجتمع ، أو الركيزة الأساسية في بنائه ، و هي أيضا الوحدة الاجتماعية الأساسية في بنائه . فهي تقوم بوظائف مختلفة ، و متعددة تتداخل و تتشابك مع وظائف أنظمة المجتمع الأخرى ، حيث أن هذه الأنظمة تتساند وظيفيا مع بعضها البعض ، و تؤثر و تتأثر فيما بينها . و إذا نجحت الأسرة في أداء وظائفها بالصورة السليمة ، فإن تأثيرها على النظم الأخرى يكون كبيرا. أما إذا فشلت في أداء وظائفها أو بعضا منها ، فإن هذا الفشل يعود بالسلب على المجتمع ، الذي يحدث فيه خللا و عطلا أو عطبا في ميكانزماته الداخلية خاصة تلك المتعلقة بالجانب الثقافي بالمفهوم الواسع لكلمة ثقافة.

و يمكن تلخيص الوظائف التي تقوم بها الأسرة كالآتي:

2 ـ 1 ـ الوظيفة البيولوجية:

تعد الوظيفة البيولوجية من أهم وظائف الأسرة ، و تتمثل في " الإنجاب و التناسل ،و حفظ النوع من الإنقراض "**9**، و بالتالي يتم عن طريقها ضمان استمرارية الجنس البشري بصورة يقرها المجتمع ، فالأسرة هي منبع تجديد أجيال المجتمع من مرحلة لأخرى و هذه الوظيفة تعتبر منالوظائف الفطرية التي تقوم بها الأسرة وهي من الوظائف الأساسية للزوجين لتحقيق الإشباع الجنسي. كما تعتبر وظيفة الإنجاب الوظيفة الأساسية التي تستأثر بها الأسرة في غالبية المجتمعات للمحافظة على النوع، ولقد تعرضت هذه الوظيفة لعمليات تنظيمية متأثرة في ذلك بالتغيرات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وأصبحت تحاول كل أسرة في الوقت الحالي إنجاب عدد معين من الأطفال تختلف باختلاف الفئة التي تنتمي إليها الأسرة، وإن كان عدد الأطفال في الأسرة يتناقص كلما تدرجنا من الأسرة الريفية إلى الأسرة الحضرية**10**.

ومع ذلك لا تزال الأسرة هي أصلح نظام للتناسل، يضمن للمجتمع نموه واستمراره عن طريق الإنجاب.

و عموما فإن للأسرة وظيفة مهمة في المجال الفردي والاجتماعي من خلال إنجابها للأطفال وقبولهم اجتماعيا مما يؤدي إلى استقرار نفسي واجتماعي عند الوالدين، بالإضافة إلى أن وظيفة الإنجاب للأسرة لم تتغير في مضمونها، وبقيت محافظة عليها رغم التغيرات الواسعة التي طرأت على الأسرة في المجالات المختلفة. **11**

2 -2 – الوظيفة الاجتماعية:

و تتمثل في تنشئة الأبناء في مختلف مراحل نموهم ، و رعايتهم ، و الدفاع عنهم ، و حمايتهم. كما تتمثل في تنظيم حياتهم ، و محاولة توجيههم في صنع مستقبلهم ، بالإضافة إلى تعليمهم لغة مجتمعهم ، و عاداتهم ، و دينهم ، و كيفية التعامل مع الآخرين .أي تزويدهم بقواعد السلوكو الآداب العامة ، و قوالب العرف و التقليد لغرس القيم و الفضيلة " فالطفل ليس ملكا لوالديه فحسب ، و إنما هو عضو في المجتمع الأكبر الذي يعيش فيه ،لذلك ينبغي أن ينشأ نشأة اجتماعية سليمة "**12**.

و انطلاقا من أداء الأسرة لمهمة التنشئة الاجتماعية ، تنطلق معها مسؤولية تشكيل شخصية الفرد وفقا لهذه الأنماط و السلوكات الثقافية الموجودة داخل مجتمعه . و على ضوء هذا يتحدد المركز الاجتماعي للفرد انطلاقا من أسرته ثم مجتمعه.

إن الأسرة مسؤولة مسؤولية تامة عن عملية التنشئة الاجتماعية التي يتعلم الطفل من خلالها خبرات الثقافة وقواعدها بصورة تؤهله وتمكنه من المشاركة مع غيره من أعضاء المجتمع " **13** ،أي أن الطفل حتى يولد يجهل كل شيء عن نفسه وعن الآخرين والبيئة المحيطة به، ومع نموهيتعلم الكثير من عالمه المحيط به من الأشخاص الذين يرتبط بهم، ويتعرف على أشياء عديدة عن ذاته وعن البيئة التي يعيش فيها، والأسرة هي التي تعتمد على تنمية الطفل وهي المسؤولة على ذلك، لأنها تعد بمثابة المدرسة الاجتماعية الأولى التي يتعلم فيها الطفل أنماط الحياةويكتسب من خلالها العادات والتقاليد التي تعمل بها الجماعة.

ومن هنا يتضح لنا بأن الأسرة تقوم في جميع مجتمعات العالم بتدريب الطفل وإكسابه الاتجاهات والمواقف والعقائد والأساليب السلوكية الاجتماعية التي يتوقعها المجتمع منه كشخص بالغ مسؤول، وهذه الوظيفة تعتبر متطلبا رئيسيا لبقاء المجتمع وارتباطه وتماسكه.

وبالرغم من وجود منظمات أخرى مثل دور الحضانة أو المدرسة تستطيع القيام بهذه الوظيفة إلا أنه لا يوجد ثمة منظمات غير الأسرة يمكن توفير هذا الجو من الحب والود والاطمئنان الذي يمثل المحضن المناسب لنمو شخصية الطفل وتنشئته تنشئة اجتماعية طبيعية. " **14**

2 ـ 3 ـ الوظيفة النفسية و العاطفية:

يعتبر الجو النفسي السائد داخل الأسرة ذا أهمية بالغة في تكوين شخصية الأبناء ،و تنميتها وفقا لكل مرحلة من مراحل نموه ، فالأسرة هي المكان الأول الذي يتلقى فيه الفرد دروسا في معاني المشاعر الإنسانية كالحب و الكراهية ، و العطف و الحنان

، و ما تؤكده سناء خولي "الوظيفة النفسية و العاطفية للأسرة هي ترك أجواء المنزل غامرة بعواطف الحب و القبول الاجتماعي ، و اللعب ، و التفاهم ، و التقبل بين الزوجين ،واحتضان الأولاد بالدفء ، و هذا يؤدي إلى وجود وحدة صغيرة تكون المصدر الرئيسي .للإشباع العاطفي لجميع أ عضاء الأسرة " **15**

2 ـ 4 ـ الوظيفة الاقتصادية:

تتمثل الوظيفة الاقتصادية للأسرة في أن الأسرة مسؤولة عن توفير الحاجات المادية للكبار و الصغار من أفرادها إذ أن الأسرة وحدة اقتصادية متضامنة يقوم فيها الأب بإعالة زوجته ، و أبناءه ، و تقوم الأم بأعمال المنزل . و قد تعمل الزوجة أو بعض الأبناء فيزيدون بذلك مندخل الأسرة ، و من ثم يشكل الزوج و الزوجة ، و الأبناء وحدة متعاونة ، و متساندة اقتصاديا ، و يتم العمل بينهم بشكل متفق عليه حسب ظروف كل مجتمع**16**.

فالأسرة هي المسؤولة الأولى عن توفير الحاجيات الأساسية لجميع أفرادها . فهي تشرف على جميع شؤونها المادية ، و ذلك بممارستها لأنشطة اقتصادية متنوعة ، من أجل الحصول على دخل يقتات منه كل أفراد الأسرة لتلبية الحاجات الضرورية من مأكل و ملبس و دواء ... إلخ.

2 ـ 5 – الوظيفة التربوية و التعليمية:

وذلك من خلال نقل التراث الحضاري من جيل إلى جيل عن طريق تلقين التراث الإجتماعي، و الخبرات ، والمهارات المختلفة و تتمثل كذلك في تربية الطفل منذ الولادة وترويضه ، و ذلك بغرس القيم و الفضيلة**17**.

و يؤكد هذا الباحث "محمد زردومي" حين قال " : لقد أخذت الأسرة على عاتقها مهمة تحويل الفرد إلى شخص اجتماعي من خلال مساعدته في إدراك ذاته ، و تحديدها خلال المرحلة المبكرة من عمره التي يكون فيها ممركزا حول نفسه بتلقينه قيم ، و مقاييس، ومفاهيم مجتمعه ،و تدريبه على شغل مجموعة من الأدوار التي تحدد نمط سلوكه اليومي و يبدأ ذلك بعلاقته البيولوجية مع أمه ثم اكتسابه للغة" **18**، لذلك نرى أن القسط الأكبر من التربية الخلقية و الوجدانية و الدينية ، يقع على عاتق الأسرة ، و هي التي بفضلها يتكون لدى أفراد الأسرة الروح العائليةو العواطف الأسرية.

كما أن الأسرة تلعب دورا هاما في مجال التعليم إلى جانب المدرسة فهي تشرف على متابعة أطفالها في الواجبات المنزلية وفهم الدروس ويمكن القول بأن الوالدين هما الذين يحددان مدى تقدم أو تأخر الطفل في المدرسة وخير دليل على ذلك أن الآباء اليوم يقضون وقتا أطول فيمساعدة أبنائهم في استذكار دروسهم أكثر والحقيقة الواضحة أن

آباء اليوم أكثر اهتماما بأبنائهم، كما أن درجة تعليم الوالدين يكون لها أثرا كبيرا على مستوى الأبناء الدراسي19.ولا تزال الأسرة تتحمل الكثير من نفقات التعليم وأجور المواصلات، والملابس والأدوات المدرسية ... الخ،إلىجانب قيام الأم بتعليم الأطفال في حل واجبات المدرسة المنزلية وغيرها، وهناك الأخوة الكبار يساهمون أيضا في عملية تعليم إخوانهم الصغار، ونلاحظ مؤخرا ظهور الدروس الخصوصية وحتى الاستخدام الواسع للبحث التربوي والتعليمي عن طريق الانترنت، وهذا دليل واضح علىاهتمام الأسرة بتعليم أفرادها، على الرغم من فقدانها الكثير من وظيفة التعليم التي أصبحت تمارس من طرف الهيئات الحكومية كالمدارس ومراكز التعليم المختلفة

2 ـ 6 – الوظيفة الدينية:

و يتمثل دور الأسرة في تعليم الطفل ، و توجيهه نحو عقيدة معينة ، و تعليمه العبادات المطلوبة ، و تعلمه كيفية التمييز بين الخير و الشر ، المسموح و المحظور ، الثواب والعقاب. و بذلك فالأسرة تعمل على غرس كل تعاليم الديانة التي يؤمنها المجتمع في ذهنية الأفرادالصغار ، و بذلك نقول أن الأسرة " هي التي تقوم بوضع الأسس الأولى للعاطفة الدينية عند الصغار ، و تطبيعهم بطابع ديني " **20**.

و ما زالت الأسرة تلعب دورا هاما في غرس القيم الدينية والأخلاقية في نفس الأبناء، حيث يكتسب الطفل الأسس والمبادئ الدينية من الأسرة التي ينتمي إليها، فهي التي تحدد له الدين الذي سيعتنقه في حياته ، وهي التي تغرس فيه نظرته إلى الله وحبه له و تعلمه الواجباتالدينية كالصلاة والصوم والاحتفال بالأعياد الدينية، وغيرها من الممارسات الدينية المطالب بها، فنظرته إلى الدين والوجود والعبادات وكيفية تعامله مع الناس تعتمد على الأسرة التي ينشأ فيها. تلك أهم الوظائف العامة التي تقوم بها الأسرة في المجتمعات الـ حديثة، والتي تبرهن علىاعتبار الأسرة من أهم الجماعات الأولية. **21**

يضاف إلى ذلك أن الأسرة لن تقتصر على هذه الوظائف المذكورة سابقا، بل هي تمارس وظائف عديدة كالوظيفة الترفيهية من خلال الزيارات والرحلات التي تقوم بها الأسرة، وكذلك الوظيفة القانونية والسياسية وغيرها من الوظائف المتعددة التي تختلف من مجتمع إلى آخر، إلا أن بعضهذه الوظائف ضعف عن الشكل الذي كان عليه مع أنها لم تنتهي كليا، وذلك راجع إلى نوع التجديدات التي تأخذها الأسرة الآن وأثار التغير الاجتماعي بوجه عام في تعديل وظائف الأسرة نحو أطفالها والمجتمع.

و كل فقدان لبعض وظائف الأسرة استجابة للتغيرات الحاصلة يدعم منوحدة الأسرة وتكاملها ويزيد من قدرتها على مواجهة متطلبات التنشئة وتنمية شخصية

الأطفال وإعدادهم لمواجهة حياة مستقبلية أفضل مما واجهه الآباء، لأنه لا يمكن أن يعوض الأسرة في توجيه الأفراد أي مؤسسة اجتماعية أخرى مهما كانت، ومهما كان شأن المشرفين عليها.

وأخيرا يتضح لنا مما سبق بأن الأسرة الحديثة رغم انكماش ووظائفها إلا أنه سوف تظل تنظيما أساسيا له وظائفه الهامة كما حددها علماء الاجتماع، فهي تحقق وظائف الأمن والحب والمأوى وإشباع الحاجات العاطفية والجنسية، ووظائف إنجاب الأطفال وتنشئتهم تنشئة سوية، وإشباع حاجات الأطفال الاقتصادية والتعليمية والنفسية حتى يصلوا مرحلة الاعتماد على النفس، كما أنها هي المسؤولة على غرس العقائد الصحيحة والقيم في نفوس الأطفال. ومنه فإن وظائف الأسرة متنوعة ومختلفة باختلاف المجتمعات البشري ة ذاتها، وهذا ما جعل دراسة الأسرة أمر مختلفومتباين بين وجهات نظر علماء الاجتماع، وذلك طبقا لأفكارهم الأيديولوجية والاتجاهات النظرية والفكرية المختلفة عندهم.

3 ـ أهمية الأسرة في التنشئة الاجتماعية:

الأسرة هي المحيط الاجتماعي الأول الذي يحتضن الطفل ، و يتعامل معه ، فالطفل في بداية حياته يكون مادة خام قابلة للتشكيل على أي شكل و أي نموذج . و من ثم فإن ما تقدمه الأسرة للطفل هو الذي يصنع شخصيته الأولى.

و منه فإن الأسرة هي الجماعة الأولية التيتكسب الطفل الخصائص الاجتماعية و النفسية ، و المعرفية للمجتمع . كما أنها تكون الوسيلة التي يبنى بها الطفل بناءا سليما ، أو الوسيلة التي تتحطم عليها شخصية الطفل فالأسرة هي التي تكسب الطفل المعايير الخاصة بالأسرة التي تفرضها هي عليه، وبذلك تكون الأسرة مؤسسة المجتمع الأساسية في الحفاظ عليه ، و على تراثه الثقافي و الحضاري. و تظهر أهمية الأسرة كذلك في كونها المحدد الحقيقي لتوجهات الفرد الفكرية و السلوكية ، و البناءة الحقيقية و الأولى لاتجاهاته نحو مختلف الموضوعات الخارجية ، و المعلم للطفل كيف يكون متسامحا ، ومحترما للآخرين.

كما تساهم الأسرة في نقل الثقافة المجتمع إلى الأجيال المتعاقبة في شكل قيم ، و عادات ، و اتجاهات ، فتتكون لدى الطفل عقلية التمييز بين الجائز و غير الجائز . و في هذا الصدد تؤكد الكثير من الأبحاث النفسية و الاجتماعية بما لا يدع مجالا للشك ، على أن السمات و الخصائص الشخصية التي يتميز بها الفرد في مرحلة الرشد هي نتيجة لما اكتسبه بعد ولادته من أسرته ، و نتيجة لتفاعله مع أساليب تربوية معينة في محيط الأسرة ". و بالتالي فالأسرة هي البيئة الا جتماعية الأولى التي يبدأ فيها الطفل تكوين ذاته ، و التعرف على نفسه عن طريق عملية الأخذ و العطاء ، و التعامل بينه و بين أعضاءها ،

و فـي هـذه البيئـة يتلقـى أول إحسـاس بمـا يجـب ، و مـا لا يجـب القيـام بـه ، و الأعمـال التـي إذا قـام بهـا تلقـى المـديح ، و الأعمـال الأخـرى التـي إذا قـام بهـا تلقـى الـذم و الاسـتهزاء ، و بـذلك تعده للاشتراك في حياة الجماعة بصفة عامة.

4 ـ العنف الأسري:

إن العنف الأسري هو أشهر أنواع العنف البشري انتشاراً في زمننا هذا، ورغم أننا لم نحصل بعد على دراسة دقيقة تبين لنا نسبة هذا العنف الأسري في مجتمعنا إلا أن آثاراً له بدأت تظهر بشكل ملموس على السطح مما ينبأ أن نسبته في ارتفاع وتحتاج من كافة أطراف المجتمع التحرك بصفة سريعة وجدية لوقف هذا النمو وإصلاح ما يمكن إصلاحه.

4-1-العنف الأسري من منظور اجتماعي:

يشير هذا المفهوم بوجه عام إلى سوء معاملة شخص لشخص آخر تربطه به علاقة وثيقة مثل العلاقة بين الزوج والزوجة وبين الآباء والأبناء وبين الأخوة. **22.**

ويتداخل مفهوم العنف الأسري مع مفاهيم كثيرة قريبة منه مثل العنف المنزلي أو سوء معاملة أحد الزوجين للآخر أو سوء معاملة الأطفال وغير ذلك من المفهومات تشترك في المعنى الذي اشرنا إليه وتقع أعمال العنف الأسري غالباً من الأزواج ضد زوجاتهن وإن كان من غير المستبعد أن تمارس بعض الزوجات أعمال عنف ضد أزواجهن أما الأطفال فعادة ما تقع عليهم ممارسات العنف من الأب أو الأم أو ممن يقوم بدورهما في حالة غيبة أحدهما أو كليهما. ويمارس العنف داخل الأسرة أيضاً ضد كبار السن من الأجداد والجدات وأخيراً فإن الأطفال قد يوجهون العنف إلى ذويهم في شكل أعمال انتقامية ترمي إلى تخريب والإيذاء. **23.**

أ ــ تعريف العنف الأسري:

هناك مشكلة في تعريف موحد للعنف لكن هناك العديد من التعريفات التي أعطيت للعنف الأسري منها تعريف الكاتبة السعودية هند باشطح العنف الأسري بأنه: "أي عمل مبني على أساس النوع والذي يؤدي أو احتمال أن يؤدي إلى أذى مادي أو جنسي أو معنوي أو معاناة للمرأة ويشمل التهديد بهذه الأفعال والإكراه أو الحرمان من الحرية سواء كان حدوثه في الحياة العامة أو الخاصة." **24** مع ملاحظة أن هذا التعريف ليس شاملا للعنف الأسري لأنه لم يشمل الأذى الذي يلحق بالأطفال وغيرهم ممن يتعرضون للإيذاء داخل الأسرة من أي فرد من أفرادها كما عرف على أنه :" اعتداء جسدي لا يقع بالصدفة و ينتج من عمل أو امتناع من جانب الآباء أو أولياء الأمور".**25**

والذي نختاره للتعريف بالعنف الأسري هو: " أي سلوك عدواني أو عدواني أو عدائي متعمد يصدر عن احد أفراد الأسرة تجاه فرد آخر أو أكثر فيها، مما ينتج عنه أي نوع من أنواع الضرر أو إيذاء على المعتدي عليه من قبل المعتدي."

إذن العنف الأسري اعتداء من القوي على الضعيف الذي لا يستطيع الدفاع عن نفسه، إما لضعفه كالطفل والمرأة والخادمة والسائق أو غدر كمن يتعرض للقتل أو الإحراق بالنار أثناء نومه أو غفلته.

من الممكن أن تكون هناك عدة صور للعنف في داخل الأسرة لأنه إما إيذاء موجه من قبل أحد الزوجين تجاه الطرف الآخر، وإما إيذاء موجه من قبل أحد الوالدين أو كليهما تجاه أحد الأبناء أو كلهم وإما إيذاء موجه من قبل الأبناء أو جميعهم تجاه أحد الوالدين أو كليهما، أو أي نوع آخر من الإيذاء من قبل احد الأفراد داخل الأسرة تجاه الآخرين فيها. ويقع العنف عادة نتيجة لوجود مشكلات في الأسرة، أو انعدام التفاهم بين أفراد الأسرة، أو استخدام أحد أفراد الأسرة المخدرات أو نتيجة التعصب القبلي أو وجود أخطاء سلوكية أو أخلاقية لم تعالج بالحوار والتفاهم.

ب- دوافع العنف الأسري: 26

يمكن تقسيم الدوافع التي يندفع الفرد بمقتضاها نحو العنف الأسري إلى ثلاثة أقسام هي:

. **الدوافع الذاتية:** وهي تلك الدوافع التي تنبع من ذات الإنسان ونفسه والتي تقوده نحو العنف الأسري وهذا النوع من الدوافع يمكن أن يقسم إلى قسمين:

1- الدوافع الذاتية التي تكونت في نفس الإنسان نتيجة ظروف خارجية من قبل الإهمال وسوء المعاملة والعنف الذي تعرض له الإنسان منذ طفولته إلى غيرها من الظروف التي ترافق الإنسان والتي أكدت إلى تراكم نوازع نفسية مختلف، وتمخضت بعقد نفسية قادت في النهاية إلى التعويض عن الظروف السابقة الذكر باللجوء إلى العنف داخل الأسرة.و لقد أثبتت الدراسات الحديثة بأن الطفل الذي يتعرض للعنف إبان فترة طفولته يكون أكثر ميلاً نحو استخدام العنف من ذلك الطفل الذي لم يتعرض للعنف فترة طفولته.

2- الدوافع التي يحملها الإنسان منذ تكوينه والتي نشأت نتيجة سلوكيات مخالفة للشرع كان الآباء قد اقترفوها مما انعكس أثر تكوينها على الطفل. ويمكن إدراج العامل الوراثي ضمن هذه الدوافع.

- **الدوافع الاقتصادية:** هذه الدوافع تشترك معها ضروب العنف الأخرى مع العنف الأسري إلا أن الاختلاف بينهما يكون في الأهداف التي ترمي من وراء العنف بدافع اقتصادي ففي محيط الأسرة لا يروم الأب للحصول على منافع اقتصادية من وراء استخدامه العنف إزاء أسرته، وإنما يكون ذلك تعريفاً لشحنة الخيبة والفقر الذي تنعكس آثاره بعنف من قبل الأب نحو الأسرة أما في غير العنف الأسري فإن الهدف من وراء استخدام العنف إنما هو الحصول على النفع المادي.

- الدوافع الاجتماعية:يتمثل هذا النوع من الدوافع في العادات والتقاليد التي اعتادها هذا المجتمع والتي تتطلب من الرجل -حسب مقتضيات هذه التقاليد- قدراً من الرجولة بحيث لا يتوسل في قيادة أسرته بغير العنف والقوة وذلك أنهما المقياس الذي يمكن من خلاله معرفة المقدار الذي يتصف به الإنسان من الرجولة، وإلا فهو ساقط من عند الرجال.

وهذا النوع يتناسب طردياً مع الثقافة التي يحملها المجتمع على درجة الثقافة الأسرية ،فكلما كان المجتمع على درجة عالية من الثقافة والوعي، وكلما تضاءل دور هذه الدوافع حتى ينعدم في المجتمعات الراقية، وعلى العكس من ذلك في المجتمعات ذات الثقافة المتدنية، إذ تختلف درجة تأثير هذه الدوافع باختلاف درجة انحطاط ثقافات المجتمعات.

كما يحدد البعض أسباب العف الأسري الموجه نحو الأطفال بأنها ذات جذور قديمة نابعة من مشكلات سابقة أو عنف سابق سواءً من قبل الآباء أو أحد أفراد العائلة، أما الأثر الحاضر فتكون جذوره مشكلة حالية على سبيل المثال فقدان الزوج أو الأب لعمله، قد يدفعه لممارسة العنف على أولاده وبالتالي فإن الشخص الذي ينحدر من أسرة مارس أحد أفرادها العنف عليه ففي أغلب الأحيان، فإنه سوف يمارس الدور نفسه لذا فمن الضروري معرفة شكل علاقة الأم المعتدية على أبنائها بوالدتها في صغرها.

وفي الغالب تكون تعرضت هي نفسها للعنف لذا فبالنسبة لها تعتقد أن ما تقوم به من عنف تجاه أولادها هو أمر عادي كونه مورس عليها ومن حقها اليوم أن تفعل الشيء نفسه.

وهناك سبب آخر يتمثل في عدم إمكانية الأم وبالتأقلم مع مجتمع غريب عنها فإذا كانت الأم غير متأقلمة فهي لا تستطيع التأقلم مع المجتمع الجديد وتتحول حياتهم إلى كتلة من الضغوط النفيسة والاجتماعية وتتحول إلى ممارسة العنف كونها لا تستطيع أن تعبر عن حزنها وغمها فتفجر الأزمة في أولادها، وفي غالبية الأمر يكون الضحية الطفل البكر.

ج- أنواع العنف الأسري:

- **العنف المعنوي والحسي:** ويشير إلى النمط اللفظي الذي يؤذي الطفل، ويعيق نموه العاطفي ويفقده إحساسه بأهميته واعتداءه بنفسه ومن أشكاله المدمرة والشائعة الانتقاد اللاذع المتكرر والتحقير والشتم و الإهانة والرفض والاستخفاف بالطفل أو السخرية منه. **27**

-**الحبس المنزلي والطرد من المنزل:** وهو أمر مرفوض كلياً لأن فيه نوع من أنواع الاستبعاد والحبس المنزلي قد يشيع لدى بعض الأسر وذلك اتقاءً لشرّ الضحية لأنه قد بدر منه سلوك مشين في نظر من يمارس العنف وربما هذا النوع من العنف المعنوي يمارس ضد النساء والفتيات وحتى إن أم تكن هناك أسباب داعية لممارسته، وإن كان الحبس المنزلي يمارس ضد الإناث فإن الطرد من المنزل يمارس ضد الذكور وذلك لاعتبارات اجتماعية تميز المجتمعات العربية عن غيرها وهذا النوع من العنف يعد الطلقة التي يستخدمها الأبوان عند عدم التمكن من تهذيب سلوك الابن الضحية.

-**العنف المادي:** يشير الاعتداء أو سوء المعاملة الجسدية عامة إلى الأذى الجسدي الذي يلحق بالطفل على يد أحد والديه أو ذويه. وهو لا ينجم بالضرورة عن رغبة متعمدة في إلحاق الأذى بالطفل، بل إنه في معظم الحالات ناتج عن أساليب تربوية قاسية أو عقوبة بدنية صارمة أدت إلى إلحاق ضرر مادي بالطفل أو كادت. وكثيراً ما يرافق الاعتداء الجسدي على الطفل أشكال أخرى من سوء المعاملة

ومن الأمثلة المؤسفة والشائعة على ذلك ضرب أحد الوالدين لطفله بقبضة اليد أو بأداة ما في الوقت الذي ينهال عليه بسيل من الإهانات والشتائم، وفي هذه الحالة يعتبر الطفل ضحية اعتداء جسدي وعاطفي في آن واحد.

ويشمل الاعتداء البدني على الطفل الرضوض والكسور والجروح والخدوش والقطع والعض وأية إصابة بدنية أخرى. ويعتبر اعتداءً كذلك كل عنف يمارسه أحد والدي الطفل أو ذويه إذا تسبب فيه أذى جسدي بالطفل ويشمل ذلك ضربة بأداة أو بقبضة اليد واللطم والحرق والصفع والتسمم والخنق والإغراق والرفسّ والخض.فكل هذه الممارسات وإن لم تسفر عن جروح أو كسور بدنية ظاهرة ولكنها تعتبر اعتداءً بحدّ ذاتها. **28**

4 ـ 2 –العنف الأسري وانعكاساته على الأبناء:

يختلف تأثير العنف الأسري من شخصية إلى أخرى وحسب نوعية العنف الممارس والشخص الذي يقوم به إضافة إلى جنس الطفل إذ كان ولداً أم بنتاً وتشكل علاقة الضحية بالمعتدي وعلاقته بمن حوله فالأطفال الذين يتعرضون للعنف غالباً ما يكون لديهم استعداد لممارسة العنف ذاته ضد أنفسهم وضد الآخرين إضافة إلى حدوث حالات الاكتئاب والانتحار والإجرام. وكلها مؤشرات إلى:

- ✓ عدم القدرة على التعامل الايجابي مع المجتمع والاستثمار الأمثل للطاقات الذاتية والبيئية للحصول على إنتاج جيد.
- ✓ عدم الشعر بالرضا والإشباع من الحياة الأسرية والدراسية والعمل والعلاقات الاجتماعية.
- ✓ لا يستطيع الفرد أن يكون اتجاهات سوية نحو ذاته بحيث يكون متقبلاً لنفسه.
- ✓ عدم القدرة على مواجهة التوتر والضغوط بطريقة ايجابية.
- ✓ عدم القدرة على المشكلات التي تواجهه بدون تردد أو اكتئاب.
- ✓ لا يتحقق للفرد الاستقلالية في تسيير أمور حياته. **29.**

أ– **العلاقة بين العنف الأسري والسلوك العدواني لدى الأبناء:** تشير الدراسات إلى وجود علاقة بين تعرض الأطفال للعنف الأسري وبين حدوث اضطرابات السلوك لديهم وخاصة السلوك العدواني فالتربية القاسية التي تقهر الطفل وتعاقبه بدنياً وتؤلمه نفسياً تنمي العدوان لديه وتجعله يفشل في تنمية التحكم في الغضب والعدوان.

ووجد «نيوبيرجر» /1977/ أن الطفل المتعرض للعنف لديه عدوان في خياله بدرجة كبيرة ومميزة كما أن لديه سلوك عدواني شديد خارج وداخل الفصل مقارنة بالعينة الضابطة. **30**

ب–العنف ضد الأبناء و انعكاساته:أن أثر العنف على الطفل يتمثل في الأتي :

* **العنف ضد الطفل يدفعه إلى الجريمة والانحراف والعنف:** فعندما يمارس العنف ضد الطفل فإنه يهرب إلى الشارع حيث إن الطفل لم يجد الدفء والحماية في منزل الأسرة وهو يحاول

البحث عنها في الشارع وللأسف يجد من يلتقطه سريعا ويلتصق هذا الصغير بالآخر الغريب حيث أنه وبسبب صغر السن يحتاج لمصدر حماية ، يحتاج لصدر حنون ويد تمسح رأسه ، وهذا تستغل طفولته بأبشع صورة حيث يستغل في الشذوذ الجنسي أو في بيع وتوزيع المخدرات وغيرها من الجرائم ، وقد يكون من يلتقط هذا الصغير من الشارع لديه فكر إرهابي وفكر ضال وهنا نحن نفقد احد أعمدة الوطن في المستقبل لان يكون مجرما أو إرهابيا .

أيضا عندما يمارس **العنف** ضد الطفل فإنه يختزن هذه الصورة والوقائع الشاذة في عقله الباطن ودائما ما يفكر فيها ويتصورها ويسترجعها ويتألم .ففي كل مرة يتذكر **العنف** المدوي عليه يهرب من هذه الذكريات الأليمة في معاقرة الخمور والمخدرات فقط لينسى تلك المواقف والمشاهد المحزنة والأليمة. والوالد الشاذ الذي يمارس **العنف** على ابنه الصغير أو ابنته إنما يؤسس فعليا لمجرم في المستقبل فهذا الطفل هو مشروع قاتل أو مجرم في المستقبل وذلك لان عقله الصغير ملئ بالعنف والحقد والكراهية ولذا لا يستغرب إن يهرب للمخدرات أولا لينسى ماضيه القاسي ثم يتحول للقتل والعنف**30**.

ج- تأثير العنف على مستوى التحصيل الدراسي لدى الأبناء: ويتضح ذلك أن **العنف** مثل ما رأينا سابقا يؤدي إلى تفكك الأسرة ويفقدها توازنها ويكون ضحيتها الأبناء حيث إنهم يحرمون من مدارسهم وذلك إما لانتقالهم إلى مدينة أخرى التي يعيش فيها أحد الوالدين. وأيضا أن غالبا الأطفال الذين يتعرضون للعنف الأسري يتسربون من مدارسهم ولا يواصلون دراستهم وإن بقوا في المدارس فإنهم يتعثرون في الدراسة ولا ينجحون إلا بصعوبة ولا يبدعون فيها بل يكونوا في أسفل الهرم التعليمي وغالبا مديرو المدارس لا يشتكون إلا من الطلاب الذين يعيشون في أسر مضطربة ومفككه **31**.

خاتمة:

تنامت ظاهرة العنف لدى الطفل بشكل مكثّف ومثير خلال العقود الأخيرة، داخل المجتمعات الداخلية أو على الصعيد الدولي؛ سواء من حيث مخاطره وصوره أو على مستوى النطاق الذي يتم فيه أو بالنسبة لعدد الأطفال الذين يمارسونه.. وإذا كان هناك إجماع على خطورة هذه الآفة؛ وعلى ضرورة مجابهتها؛ فإن هناك تباينا في السبل المقترحة والمتبعة لمواجهتها والحدّ منها.

إن العوامل المغذية لظاهرة العنف لدى الطفل؛ متعددة ومتباينة في خلفياتها وأسبابها؛ وتختلف بين عوامل ذاتية وأخرى موضوعية؛ ويعد الوقوف على الخلفيات والأسباب الحقيقية المغذية للظاهرة؛ خطوة كبيرة على طريق بلورة مقاربة فعّالة لمجابهتها. وإذا كان الحد من تصاعد هذه الظاهرة يتطلب اعتماد مقاربة شمولية تتأسس على مختلف المقومات القانونية والعناصر الكفيلة بتوفير الشروط اللازمة لحفظ كرامة الإنسان؛ فإن اعتماد سبل تربوية تسمح بتحصين شخصية الفرد ضد أي فكر متطرف أو عنيف.. وتجعله مؤمنا بالحوار والاختلاف والتسامح.. هو مدخل حيوي لمواجهة الظاهرة.

والتنشئة المطلوبة هي تنشئة أسرية بناءة قادرة على صقل سلوك الطفل الذي يعتبر رجل الغد؛ من حيث تربيته على قيم المواطنة والمسؤولية.. والقبول بقيم المجتمع ومؤسساته..إنها عملية يفترض أن تتم وفقا لمناهج وأساليب واعية بعيدة عن الارتجال والعشوائية؛ وتقوم على التعلّم وبناء مواطن منفتح مستقلّ في قراراته؛ واثق في نفسه وقدراته.. ومندمج في المجتمع في إطار من الضوابط والقيم والمعايير..

*** قائمة المراجع:**

1. محمد بيومي خليل: **سيكولوجية العلاقات الأسرية، القاهرة** ، دار قباء، 2000، ص 70.
2. نفسه، ص71.
3. فاطمة المنتصر الكتاني: **الاتجاهات الوالدية و علاقتها بمخاوف الذات لدى الأطفال**، عمان، دار الشروق للنشر و التوزيع، ط1، 2000،ص 44
4. عصام عبد اللطيف العقاد:**سيكولوجية العدوانية وترويضها** منحى علاجي معرفي جديد، القاهرة :دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 2001 ، ص 100.
5. سعد الزهراني: **السلوك العدواني لدى الأطفال، مجلة الأمن و الحياة**، الرياض، عدد 160، السنة 14، ص04.
6. اجلال حلمي:**العنف الأسري**، القاهرة، دار قباء، د.ت.ط ، ص 9.
7. فيليب برنو وآخرون: **المجتمع والعنف**، ترجمة، الأب إلياس زحلاوي، دمشق :منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، 1975 ، ص 151.
8. **اتفاقية الامم المتحدة باب حقوق الطفل** 1998.
9. رمضان السيد : **مدخل في رعاية الأسرة و الطفولة**، دار قباء للنشر و التوزيع بيروت، 1998، ط 2، ص ص 15 - 16
10. محمد بدوي: **مبادىء علم الاجتماع** ، دار المعارف ، مصر ، ط3 ، 1976، ص 372 .
11. سلوى عثمان الصديقي:**الأسرة والسكان** ، المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية، 2003 ، ص 46
12. حنان عبد الحميد العناني : **برامج تربية الطفل** ، دار الصفاء ، عمان ، 2001 ص13
13. محمد أحمد بيومي، عفاف عبد العليم ناصر: **علم الاجتماع العائلي– دراسة التغيرات في الأسرة العربية** ، دارالمعرفة الجامعية ،الإسكندرية ، 2003 ، ص26
14. سناء خولي : **الأسرة و الحياة العائلية** ، مرجع سابق، ص61
15. طلعت ابراهيم لطفي: **مبادىء علم الإجتماع** ، الرياض ،مؤسسة الأنوار ، 1971 ، ص184
16. رابح تركي، **أصول التربية و التعليم** ، مرجع سابق، ص 172
17. رابح تركي، **أصول التربية و التعليم** ، مرجع سابق، ص 174
18. محمد يسرى ، ابراهيم دعبس : **التربية الاسرية – مفهومها ، طبيعتها وهدفها ، وأبعادها ، تحدياتها** ، دار الوفاء ، الإسكندرية ، 1996 ، ص ص 59 60
19. رابح تركي ، **أصول التربية و التعليم** ، مرجع سابق، ص173
20. عبد الحميد خزار: **فلسفة الزواج وبناء الأسرة في الإسلام** ، شركة الشهاب ، الجزائر ، 1988 ، ص18

21. منيرة آل سعود :**إيذاء الأطفال أسبابه، وأنواعه وخصائص المتعرضين له** جامعة نايف العربية للعوم الأمنية، الرياض، ط2005،1،ص 45.

22. عباس أبو شامة،محمد الأمين البشري: **العنف الأسري في ظل العولمة**،مكتبة الملك الفهد،الرياض ،المملكة العربية السعودية،ط2005،1،ص55.

23. بكير بن حمودة حاج سعيد:**الأطفال و العنف**،دارالخلدونية،الجزائر،ط 1،ص83.

24. عباس أبو شامة،محمد الأمين البشري: **العنف الأسري في ظل العولمة**،المرجع السابق،ص65.

25. فاطمة مبارك الحميدي:**السلوك العدواني وعلاقته بأساليب المعاملة الوالدية**، مجلة مركز البحوث التربوية جامعة قطر العدد 25، يناير2004.

26. سوسن شاكر الجلبي: **مشكلات الأطفال النفسية وأساليب المساعدة منها**، دار رسلان، دمشق، ط1 ،2006، ص 113.

27. سوسن شاكر الجلبي: **مشكلات الأطفال النفسية وأساليب المساعدة منها، المرجع السابق**، ص 114..

28. وفيق صفوت مختار: **مشكلات الأطفال السلوكية، الأسباب طرق العلاج**، دار العلم والثقافة، القاهرة، ،1990، ص 96.

29. وفيق صفوت مختار: **مشكلات الأطفال السلوكية، الأسباب طرق العلاج**، المرجع السابق، ص 99.

30. نوال سليمان: **انعدام الحنان والعقاب يؤديان إلى نشأة الطفل العنيف** ، جريدة الخبر اليومي 26-12-2000.

31. جليل وديع شكور: **العنف والجريمة** ، بيروت ، الدار العربية للعلوم ، ط 1997 ،1 ،ص 78.